محمد الجندى (٢)

عندما هربت من قصر العينى، طلب البوليس من أسرتى صورة لينشرها فى الصحف ليطلب إلى المواطنين الإبلاغ عنى لكن أخى أحمد أعطاهم صورتى وأنا فى الثالثة من عمرى.

محمد الجندى فى حوارى معه

.. وعندما تتم الوحدة بين ايسكرا وح. م وتتأسس منظمة حدتو عام ١٩٤٧ أصبح محمد مسئولا عن قسم المثقفين، وعندما تم تأسيس قسم جديد للأقاليم ضمت قيادته كلا من محمد الجندى وفؤاد عبدالحليم وحمدى عبدالجواد وبهاء فهمى وإبراهيم المناسترلى.. وكلف محمد الجندى بالعمل فى منطقة بحرى، ترك الأسرة والبيتَ وتبرع بميراثه كاملا للتنظيم وترك الكلية (وكان طالبا فى الليسانس) وأصبح محترفا وقضى أيامه هاربا متنقلا بين خلايا التنظيم فى قرى بحرى، تنقل بين قرى عديدة ومساكن عديدة فى الزقازيق وطنطا وزفتى، وجند وهو هارب عديدا من زملائه القدامى فى الدراسة مصطفى درويش «الناقد السينمائى الشهير» وإبراهيم خلاف وبهى الدين الرشيدى «أصبح سفيرا فيما بعد» وفيما هو يتردد على القاهرة بحثا عن زملاء جدد قبض عليه وما أن أفرج عنه حتى هرب مرة أخرى فى هذه الأثناء اتصل النقراشى باشا (كان آنذاك رئيسا للوزراء) بأسرته طالبا مقابلته لعله يقنع ابن زميله القديم يوسف بك الجندى، لكن أسرته لم تكن تعرف له عنوانا، وأخيرا قبض عليه، النقراشى قتل، والأحكام العرفية معلنة وأوامر الحبس مطلقة، تنقلوا به بين سجون عدة وأخيرا قدموه للمحاكمة أمام أكثر المستشارين قسوة «المستشار حسين طنطاوى» وأخيرا أيضا اتصل بأسرته، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات مع الشغل، الأسرة تدخلت مستعينة بتاريخ الأب فنقل إلى قصر العينى، ثورة يوليو تأتى ولم تقبل الإفراج عنه وعن زملائه، نظمت حدتو هروبه هو وشريف حتاتة. شريف

سافر مباشرة إلى بورسعيد ومنها هرب إلى الخارج، هو بقى فى القاهرة ليقيم فى بيت صلاح حافظ ثم يوسف إدريس ثم الضابط أحمد حمروش، ثم إلى بيت الضابط عثمان فوزى الذى اصطحبه إلى بورسعيد ومستعينا برتبته الرفيعة فى سلاح الفرسان أمكنه أن يهربه إلى إحدى السفن، خبأه البحار المنوط بتهريبه فى قاع المركب لمدة ١٤ يوما حتى وصل إلى مارسيليا، وهناك جرده البحار من كل شئ النقود وحتى الساعة والجوانتى ثم أركبه القطار إلى باريس ليجد الرفيق يوسف حزان فى انتظاره وأقام فى منزل أحد رفاق المجموعة المصرية التى كانت تتخذ لها اسما حركيا هو مجموعة روما. هو فى باريس هارب، بلا أوراق، انتسب إلى مدرسة أليانس فرانسيز ليحصل منها على كارنيه طالب وليحصل أيضا على وجبات طعام رخيصة فى مطعم الطلبة وتفرغ بقرار من المجموعة لدراسة اللغة الفرنسية والترجمة، فترجم كتاب الديمقراطية الجديدة لماوتس تونج وعديدا من الكتب الماركسية، ومضت الأيام هو يترجم ويوسف حزان يكتب على الاستنسل ثم يطبع مئات النسخ لتقوم المجموعة بتهريبها إلى مصر، وأخيرا قبض عليه «هارب بلا أوراق» كان رفاقه قد لقنوه فى البداية لا تتكلم إلا أمام قاضى التحقيق، وأمام القاضى حكى حكايته وأمر القاضى بإيداعه فى السجن وكان واحدا من أسوأ السجون الفرنسية لا تختلف مرارته عن مرارة السجون المصرية، وأخيرا نجح رفاقه فى أن يحصلوا له على حق اللجوء السياسى فى المجر وهناك أصبح عضوا فى السكرتارية الدولية فى اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى، لكن الحركة الشيوعية العالمية كانت تصمم على اعتبار ثورة يوليو انقلابا أمريكيا وهو يصمم على موقف حدتو التى تعتبرها حركة وطنية معادية للاستعمار، هو اختلف مع المسار العام، فهل يمكن الاختلاف مع المسار العام؟ طرد من السكرتارية الدولية، فانضم للجامعة ليدرس اللغة الروسية واكتفى بمرتب الطالب، وأخيرا تلقى قرارا بالعودة إلى مصر، فسافر إلى ألمانيا الديمقراطية وهناك التقى بيوسف حلمى وزوده يوسف بجواز سفر مزور سافر به إلى برلين الغربية ومنها إلى جنيف حيث أقام لوقت فى منزل خالد محيى الدين الذى كان منفيا هناك واصطحبه خالد إلى باريس بسيارته ومن هناك اصطحبه يوسف حزان إلى روما ومنها إلى الخرطوم حيث دبر له الرفاق السودانين جواز سفر سودانيا مزورا، وبالقطار إلى القاهرة حيث أقام فى بيت فاروق ثابت، وإذ تلتهب مصر حماسا ضد العدوان الثلاثى تدرب على حرب العصابات،

وانتقل إلى منطقة القنال، وإذ ينتهى العدوان يرسله التنظيم إلى الدقهلية التى كانت أهم المناطق الحزبية، وقرر أن يتزوج، ولكن كيف لهارب بلا أوراق أن يتزوج؟، الزوجة وافقت.. فقط لا تقولوا لأبى أنه هارب، تقدم للأسرة باسم محمد يوسف أحمد وأنه خريج حقوق (تخرج من الكلية عام ١٩٦٥ متأخرا ١٧ عاما) وأنه مدير بشركة أفلام النور وهى شركة حزبية للأفلام السينمائية، زاره الأب هناك أخلوا له المكتب ومثل دور المدير تم الزواج بعد أن التف صلاح جاهين وسيد مكاوى حول الأب والمأذون معا ليمررا زواجا بلا بطاقة شخصية لكن الأب المتشكك سأل فى كلية الحقوق ولم يجد خريجا باسم محمد يوسف أحمد، وهدد بإبلاغ البوليس فحكوا له الحكاية كاملة ورضى الأب، ثم تأتى عاصفة يناير ١٩٥٩ حيث قبض على مئات الرفاق، هو أفلت وأخفاه فاروق ثابت فى منزل المخرج توفيق صالح ليواصل العمل لتجميع الرفاق ويقبض عليه فى مايو ١٩٥٩، ويقدم للمحاكمة أمام المجلس العسكرى العالى برئاسة الفريق هلال عبدالله هلال قائد سلاح المدفعية، ويترافع عنه صديق الطفولة د. جمال العطيفى وينتزع له حكما بالبراءة ومن سجن الإسكندرية يرحل مع المتهمين بعد انتهاء المحاكمة إلى أبى زعبل حيث حفل الاستقبال الوحشى الذى استشهد أثناءه شهدى عطية، ومن هناك إلى سجن الواحات حيث بقى معتقلا ليفرج عنه مع الجميع فى ١٩٦٤.

قضى الفترة من ١٩٤٨ و١٩٦٤ إما هاربا أو سجينا، وأخيرا عاد إلى حياة الإنسان العادى ويعيش مع الزوجة والابن يوسف الذى ولد وهو فى السجن، وبمائة جنيه أسس مكتب يوليو للترجمة والنشر، ثم تغير اسمه إلى دار الثقافة الجديدة ليسعى جاهدا من أجل نشر الثقافة الماركسية والتقدمية، توظف فى وكالة أنباء الشرق الأوسط وفى ١٩٦٩ سافر إلى موسكو ليعمل مترجما فى دار التقدم حيث ترجم عشرات الكتب الماركسية، ومن هناك عمل مراسلا لجريدة الأخبار ومن موسكو إلى هلسنكى ليعمل سكرتيرا فى مجلس السلام العالمى ثم إلى براغ ممثلا للحزب فى مجلة السلم والاشتراكية، ثم يعود إلى القاهرة عام ١٩٧٧ لينشط وبحماس فى حزب التجمع.

كان قد أرسل طلب انضمام منذ اليوم الأول لتأسيس منبر اليسار.. ويبقى مناضلا حتى آخر نسمات الحياة.